

دور التربية الروحية داخل الأسرة في حماية الأفراد من الانحراف الاجتماعي - في ضوء الكتاب والسنة -

أ. عتيقة عيسي

جامعة باتنة

مقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)¹ إن الآية الكريمة تؤكد أن المجتمعات البشرية كان أصلها رجل وامرأة ربط بينهما عقد قران رباني؛ فشكل بذلك أسرة تأسرهم بضوابطها المعنوية من أجل حماية ورعاية ما ينتج عن علاقتهما الزوجية من أولاد، وهكذا دواليك حتى تشكلت المجتمعات البشرية بشتى جنسياتها المختلفة، فالأسرة إذن هي النواة الأولى لبناء المجتمع، وتعتبر لبنة من لبناته المكونة لصرحه العظيم؛ وإن صلاح الأسر في المجتمع تشكل فيما بينها مجتمعا صالحا، في حين أن خلل بعض الأسر في المجتمع أو معظمها يشكل خلافا فيه، فالمجتمع إذن مرتبط ارتباطا مطردا بالأسر المكونة له؛ لأن الأسرة "عماد المجتمع، وهي أساس بنائه، والإسلام هو دين الفطرة وشريعة الحياة... أولى الأسرة عناية خاصة تتلاءم مع مكانتها في المجتمع ورسالتها في الحياة، فهي المنبت الطيب وهي المدرسة الأولى في حياة الطفل، حيث تغرس في نفسه كل الفضائل"².

هذا، وإن العالم في هذا القرن يشهد تغيرات عديدة على المجتمعات المختلفة سريعة ومتسارعة في جوانب مختلفة: العلمية منها والتكنولوجية، والاجتماعية، بل والأخلاقية... وهذا راجع بداية إلى الانفتاح العالمي؛ بسبب انتشار وسائل الإعلام والاتصال؛ ومن أهم هذه الوسائل الهوائيات المقعرة والشبكة العنكبوتية، التي جعلت من المجتمعات المترامية الأطراف كقرية صغيرة يحيط أهلها بما يدور فيها، ويتصل بعضهم ببعض، ويحصل التبادل الثقافي والاجتماعي والأخلاقي... بينهم، وهذا التبادل الحاصل بينهم يمكن أن يكون إيجابيا، كما يمكن أن يكون سلبيا إلى حد بعيد، وهو ما حصل في المجتمعات الإسلامية التي تأثر الكثير من أفرادها بالمجتمعات الكافرة، مما جعل الكثير منهم ينحرفون عن تعاليم الدين الإسلامي وأخلاقياته، وتاهوا بين الثقافات الغربية الواردة إليهم؛ وفي خضم هذا الاحتياج للثقافة الغربية غاب دور الأسرة التي أناطها الإسلام بتكاليف شرعية اتجاها أفرادها من أجل رعايتهم وحمايتهم؛ ليصلوا إلى بر الأمان ويحافظوا على مجتمعاتهم الإسلامية، ومن آثار هذا الغياب الملحوظ لدور الأسرة في توجيه أفرادها وفق تعاليم الإسلام تزعرع النظام العام للمجتمعات الإسلامية، وامتزجت التقاليد الغربية بالأخلاق الإسلامية، ومن أجل الخروج من هذا المأزق الخطير كان لزاما على الأسرة المسلمة أن تستعيد دورها كمحرك فعال للأفراد داخل المجتمعات، ومن خلالها تُحاول المجتمعات السيطرة على الوضعية المتردية في المجتمعات الإسلامية

بسبب الانحرافات الاجتماعية المختلفة، وأول الجوانب التي يجب أن تولي الأسرة لها اهتمامها هو: الاهتمام بالتربية الروحية للأفراد، ولهذا جاء البحث بعنوان: دور التربية الروحية داخل الأسرة في حماية الأفراد من الانحراف الاجتماعي، وكما نلاحظ أنه موضوع واسع، تحتاج كل جزئية منه إلى دراسة، لكن حاولنا أن نخص بالبحث عنصرين هما: دور الاهتمام بحسن الاختيار بين الزوجين في تزويد الفرد بالأخلاق الدينية، وكذا دور الاهتمام بتطبيع السلوك الديني في الفرد منذ الصغر في حمايته من الانحراف الأخلاقي

إشكالية البحث: إن البحث - كما قلنا - جاء ليعالج موضوع دور الأسرة في حماية الأفراد من الانحرافات الاجتماعية، وقد خص بالدراسة التربية الروحية، ولهذا كانت إشكالية البحث تدور حول: كيف تسترد الأسرة دورها التربوي من الناحية الروحية للأفراد، وما هو تأثير هذا الجانب في سلوك الأفراد، وكيف يتم استرداد التوازن الاجتماعي من خلال اهتمام الأسرة بالتربية الروحية لأفرادها؟

توطئة:

قال تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)³ إن أمر الله تعالى بوقاية الأنفس والأهل من النيران له دور فعال في تحريك المسؤولية في نفوس الأولياء اتجاه من تحت أيديه من أفراد؛ لكي يقوموا برعايتهم وتوجيههم التوجيه الصحيح، فلا يكون قهولهم في توجيههم سببا في ولوج النار لهم ولمن ولوا عليهم، "ووقاية النفس عن النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، ووقاية الأهل بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب"⁴ فالمتابعة المكثفة لسلوك الأفراد داخل الأسرة له دور هام في التوجيه الأخلاقي للأفراد، فهي تعمل على تحصين الفرد بالأخلاق الحميدة المستمدة من الكتاب والسنة الشريفة، التي عاجلت الإنسان من كل جوانبه النفسية والاجتماعية والأخلاقية، بحكم كمال التشريع الإلهي وإحاطته الشاملة بالإنسان، وما يحمله من خصائص روحية ومادية؛ ووفقا لما خلق عليه أول مرة، فما على الأسرة إذن إلا الإلمام بما جاء به الإسلام فيما يخص هذا الكائن المزدوج التكوين، وقد جعل الإسلام محطات تكوينية على الأسرة اجتيازها حتى تنجح في أداء رسالتها المصيرية لأفرادها، ولهذا حاولنا أن نعالج هذا الموضوع في مطلبين هما:

المطلب الأول: دور الاهتمام بحسن الاختيار بين الزوجين في تزويد الفرد بالأخلاق الدينية

المطلب الثاني: دور الاهتمام بتطبيع السلوك الديني في الفرد منذ الصغر في حمايته من الانحراف الأخلاقي

المطلب الأول: دور الاهتمام بحسن الاختيار بين الزوجين في تزويد الفرد بالأخلاق الدينية

إن الإسلام عندما نظر إلى التنشئة الأسرية نظر إليها من أصولها، وقد بدأ في رعاية الأفراد حتى من قبل ولادتهم؛ من أجل توفير الجو الأسري المناسب لهم، وقد جعل الاختيار الجيد بين الزوجين أهم أساس لنجاح عملية التنشئة الروحية للأفراد، والذي يكون معياره الدين في كلا الأبوين، فالإنسان عندما ينتقل من حياة الوحدة والعزوبة، إلى حياة الجماعة أو الحياة التي تتكون بالتدرج من زوجين لتنتقل إلى زوجين وأبناء، لتصبح في الأخير زوجين وأبناء وأحفاد، قال تعالى: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ"⁵.

وقبل وصول الإنسان إلى الحياة الأسرية يجب عليه أن يجتاز مراحل، وينتقل إلى الحياة الأسرية عبر خطوات تؤمن له الطريق في الوصول إلى مبتغاه على أفضل وجه، وتجنبه في أثناء هذه المراحل الوقوع في الزلات، والأخطاء التي تكون وبالا عليه في مستقبله الأسري، بعد أن هرب من آفة الوحدة والوحشة، فيقع في شر من ذلك وهو "آفات الزواج الفاشل"، لأنه في حقيقة الأمر لا يكون زواجا فاشلا؛ بل الخطوات التي يتبعها الإنسان هي التي تكون خاطئة، وبذلك تؤدي به إلى الفشل في حياته الزوجية، وأهم المعايير التي يجب أن تُعطى لها الأهمية معيار الدين⁶ في الاختيار بين الزوجين:

2- أولوية معيار الدين في اختيار الزوجة: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك: فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَكِدِينِهَا فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ"⁷.

إن الدين هو أساس كل شيء في هذه الحياة، وهو مفتاح كل خير على الإنسان المؤمن، وصفة ملازمة للمرأة على طول حياتها التي تعيشها -سواء بمفردها أو مع زوجها- فلا تتبدل ولا تضمحل مع تقلبات الدهر والأيام. والدين صفة يضمن الرجل بها على حياته الخاصة والاجتماعية، في ماله، وعرضه، وتربية أولاده، الذين يكونون ورثة لاسمه، وصورة مصغرة له، فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما حث الشباب على الزواج، حدد لهم صفات المرأة التي يجب أن تُلفت انتباههم، ويقع اختيارهم عليها، وأول تلك الصفات: الدين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "...فاظفر بذات الدين تربت يداك"

لأن اختيار الزوجة هو اختيار المعاشرة وطول الصحبة، وطول الصحبة لا يصلح إلا مع ذات الدين: "إن اللائق بذئ الدين والمروءة أن يكون الدين مطمحنظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره صلى الله عليه وسلم بتحصيل ذات الدين الذي هو غاية البغية"⁸. فالرجال أصناف كل له وجهة نظر للاختيار، وفي نفسه مواصفات يبتغيها في المرأة، فالرسول صلى الله عليه وسلم حث الرجال -بمذا الحديث- على جعل الدين في الرتبة الأولى من صفات الاختيار، فقد "أخبر عما يفعله الناس في العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع -المال، والجمال، الحسب، والدين- وآخرها عندهم ذات الدين، فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين لأنه أمر بذلك.." وفي هذا الحديث حث على مصاحبة أهل الدين في كل شيء لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركاتهم وحسن طرائقهم، ويأمن المفسدة من جهتهم"⁹.

والمرأة الدينية صالحة خلوقة راعية لحقوق زوجها عليها، حافظة له في كل أمره، وتعمل على راحة زوجها وولدها؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ"¹⁰، ولا تكون المرأة صالحة إذا لم تكن صاحبة دين متأصل في نفسها وفي سلوكها؛ فالمرأة الدينية المؤمنة الصادقة القانتة لربها، ترقب الله في كل ما تفعل وتذر، فتكون الحياة الزوجية معها هائلة مستقرة، مأمونة الجانب على عرضها ومال زوجها.

والنبي صلى الله عليه وسلم يحذر أن ينحاز الإنسان إلى غير ذات الدين، فيفشل في حياته، وكان ذلك -التحذير- بتعليقه في آخر ذكر الصفات بقوله: "تربت يداك" وكلمة تربت "تأتي لمعان؛ وأن كان أصلها دعاء كالمعاتب، والتعجب، وتعظيم الأمر، والحث على الشيء وهو المراد هنا"¹¹، وفي ذلك الأثر البالغ على الأبناء.

1- أولوية معيار الدين في اختيار الزوج: لقوله صلى الله عليه وسلم عن اختيار الرجل: فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: (إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا عَرِيضًا¹²)، إذا كان الواجب على الرجل أن يكون في روية عند اختيار شريكه حياته، فالمرأة عليها أن تكون أكثر روية منه، لأن الرجل إذا لم يجد الصفات التي كان يتوخاها في المرأة؛ استطاع أن يتزوج بأخرى؛ دون أن يقوم بجل الميثاق الغليظ الذي يوجد بينه وبين زوجته الأولى، ودون أن يشتت الأسرة، ولا يشرذم أولاده، في حين أن المرأة إذا أخطأت الاختيار في شريك حياتها، لم تستطع التنصل من اختيارها بأي حال من الأحوال؛ إلا بالطلاق الذي يكون سببا لتشتيت الأولاد، ولهذا عليها أن تكون أكثر حرصا في اختيار زوجها، ولن يكون اختيارها موفقا إلا إذا اتبعت المواصفات الشرعية في الزوج، حتى تأمن على حياتها وحيات أبنائها؛ لأنه إذا أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها، ولا يكون بهذا الوصف إلا صاحب الدين والتقوى والورع، والخلق الحسن؛ فالدين أساس كل شيء وكل اختيار سواء في الصحة، أو في الزواج أو الشراكة أو غيرها من المعاملات الإنسانية، والرجل الدين أولى من غيره في الزواج خاصة، لأنه يختار للعشرة الطويلة والعشرة الطويلة لا تصلح إلا مع ذي الدين.

فإذا كانت المرأة تختار لدينها لأنها تنشئ أبنائها وترعاهم، وتؤثر فيهم بعقيدتها وسيرتها، فالرجل أولى أن يكون دينا خلوقا؛ فهو رب الأسرة وزمام أمرها بيده، ولا تكاد المرأة تحرك ساكنا بغير رضاه أو إذنه؛ والأولى أن توضع سلطة الأسرة في يد صاحب الدين الذي لا يظلم في قراراته، ولا يتبع هواه في رعاية زوجته وأبنائه؛ فمهما كان إنسانا فقيرا، وصاحب دين وخلق، أفضل من غني لا دين له ولا أخلاق؛ فعن سهل قال: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ قَالَ ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا"¹³. وقد أورد الإمام البخاري هذا الحديث تحت ترجمة: "باب الأكفاء في الدين"؛ وكأنه يشير إلى أن في الزواج تُقدم كفاءة الدين على كل الكفاءات¹⁴؛ وهذا معتبر سواء في النساء أو الرجال فقد: "تبين من سياق طرق القصة أن جهة تفضيله إنما هي لفضله بالتقوى وليست المسألة مفروضة في فقير متق وغني غير متق؛ بل لا بد من استوائهما أولا في التقوى"¹⁵. لأن التقوى والدين والورع يفضل لها الرجل على غيره من الرجال ممن لهم مواصفات المال والجمال دون الدين فلا "يتبع أحد محقرات الأمور نحو قلة المال، وورثاة الحال، ودمامة الجمال... ونحو ذلك بعد أن يرضى دينه وخلقه، فإن أعظم مقاصد تدبير المنزل الاصطحاب في خلق حسن، وأن يكون ذلك الاصطحاب سببا لصالح الدين"¹⁶.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص كل الحرص على تزويج المسلمين من المسلمات؛ لتقوية شوكة الإسلام والمسلمين؛ وبذلك يضمن أن تكون الأجيال الناشئة مسلمة، ولهذا لم يكن ليضع اعتبار المال إلا في حال تساوي المسلمين في الدين والخلق، فإنه يفضل ذا المال على الفقير وهذا كما جاء في حال المرأة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستشيره في أمر زواجها حين خطبها معاوية وأبوجهم؛ فقال: "أَمَا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستشيره في أمر زواجها حين خطبها معاوية وأبوجهم؛ فقال: "أَمَا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ

عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصَعْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ"¹⁷؛ في هذه الحالة متساوون في الدين بفضل لها أسامة بحكم الفراسة: "فلما علمه من دينه، وفضله وحسن طرائقه، وكرم شمائله، فنصحها لذلك"¹⁸.

إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكد ارتباط نجاح التكوين الاجتماعي للطفل بالمرجعية الدينية للوالدين ارتباطا وثيقا، على أساس أن الدين يحوي منهاجا كاملا عن التربية الأسرية للطفل، بل ولتكيف جميع الأفراد وفق المنظومة الاجتماعية العامة، فإن كان المجتمع صالحا ساهم في ثبات صلاحه، وإن كان غير ذلك ساهم في نشر الصلاح فيه، مع توقيه آثار فساد، وعلى فصيلته من بعده بواسطة ما يحمله من منهاج رباني، لأن "من حق الصالح أن لا يألو نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به، وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء من ذلك"¹⁹، وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم كيفية حصوله وكيفية تطبيعه في نفس الفرد منذ الصغر، مبينا ذلك بمثال واقعي، حيث قال فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ"²⁰ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } الْآيَةَ"²¹؛ يقول ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث الشريف: "يريد أنها تُولد لا جدع فيها، وإنما يجدها أهلها"²² فكذلك الفرد يولد سليم الفطرة أصيل العقيدة، فيقع له التطبيع من طرف الوالدين: فإن كانا يدينان بدين الحق فسيسرخانه فيه؛ لأنه هو دين الفطرة عن طريق تعاليم الإسلام، "فالإنسان يولد مفطوراً على قبول الحق، فإن هداه الله سبب له من يعلمه الهدى، فصار مهتدياً بالفعل بعد أن كان مهتدياً بالقوة"²³، وإن كانا أبواه لا يدينان بالإسلام، فإنهما سينحرفان به عن فطرة الإسلام إلى الوجهة التي يتجهان إليها، فكان ذلك الاتجاه في حق الفرد تشويها له عن الأصل، وضلالا عن الحق، كما تشوه البهيمة التي تخرج من بطن والدتها كاملة الأعضاء؛ فيقوم الإنسان بتشويه أعضائها بالجدع، فقد "أسفرت الدراسات السيكولوجية الحديثة؛ على أن الخبرات التي يمر بها الفرد في مرحلة الطفولة الباكرة؛ تترك آثارا بقية حياته، فجدور الشخصية توضع في هذه المرحلة، ومن هنا كانت أهمية وضرورة رعاية الأسرة الإسلامية؛ لتكون قادرة على أداء رسالتها إزاء تكوين الأجيال الصاعدة على قيم الإيمان؛ بما تقدمه لأبنائها من العلم والمعرفة، وبما تقدمه من أجل تعريفهم بأصول دينهم الإسلامي الحنيف وشريعته السمحة، وفضائله الأخلاقية"²⁴، ويكون ذلك منذ نعومة أظفار الصغير، لأن صغر "السن وبكورة العمر هي المرحلة التي تصاغ فيها نفسياتهم وتبنى فيها شخصياتهم فيصبحوا كيانا إيجابيا"²⁵ في مجتمعاتهم، ويعملون على بنائه لا على تقويضه من أصوله؛ كما يفعل الكثير من الشباب المسلم الذين يزرعون الإجرام والانحراف في المجتمع، مستنئين في ذلك بالشباب الغربي الذي انصرم معظمه من قيود الإنسانية والبقية الباقية من آثار تعاليم الديانات السابقة؛ في حين أن البلاد الإسلامية مازالت تتمتع بأصالة مرجعيتها.

فالأسرة إذن تعتبر "الجماعة المرجعية الأولى، التي يجد فيها الطفل نفسه عضوا في جماعة، وهي أهم الجماعات وأقواها تأثيرا في تكوين شخصيته، وتوجيه سلوكه، فهي أهم مصادر التنشئة الاجتماعية، والركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع، لأنها مؤسسة اجتماعية، والوحدة البنائية الأولى في المجتمع التي تنشأ عن طريقها كافة التجمعات والجماعات السكانية، حيث تقوم بالدور الرئيس لبناء المجتمع، وتدعيم وحدته وتنظيم

سلوك أفرادها، بما يتناسب مع الأدوار الاجتماعية المحددة، وفقاً للشكل الحضاري العام، والأسرة هي الخلية الاجتماعية الرئيسية التي تقوم بتنفيذ جميع النشاطات الإنسانية، منذ ولادة الفرد حتى وفاته... فالحياة الأسرية تؤثر بشكل أو بآخر في التوافق النفسي، سلباً أو إيجاباً، حسب نوع التجارب والخبرات التي تزود بها أفرادها، أو تعرضهم لها، فإذا بنيت الحياة الأسرية على أسس سليمة وموضوعية، فإنها سوف تقوم بوظائفها على أكمل وجه²⁶، وتساهم في التنمية الاجتماعية؛ لأنها تخرج للمجتمع أفراداً مؤهلين لذلك، في حين إذا كان أسلوبها خاطئاً في التربية فإنه يؤثر بشكل مباشر على المجتمع؛ فالسلوك "نتيجة حتمية لما يسبقه من أحداث، مما يعطيه طابع الانتظام في الحدوث، فهو سلوك متعلم في معظمه، سواء السلوك السوي، أو السلوك اللاسوي (المضطرب). فالاضطراب هو سلوك متعلم ينشأ نتيجة فشل الفرد في تعلم استجابات سلوكية توافقيه"²⁷ حيث يصطدم فيه الفرد بمعطيات اجتماعية صحيحة مزروعة في المجتمع المسلم، وكذا وقوعه في الاضطراب النفسي الذي هو نتيجة الفراغ الروحي الناجم عن عدم سلوك التربية الإسلامية في تربية الفرد عند نشأته الأولى؛ وهو ما أكده نوح عليه السلام عندما دعا بالاستئصال لقومه حيث جاء في قوله تعالى: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لِمَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27))²⁸، فالإنسان يولد على الفطرة المستقيمة، لكن عندما يكون المحيط الأسري مملوء بالكفر، فإنه يوحى إلى الناشئة "الصغار، بما يطبعهم به الوسط الذي ينشئه الظالمون، فلا توجد فرصة لترى الناشئة النور، من خلال ما تغمرهم به البيئة الضالة التي صنعوها. وهي الحقيقة التي أشار إليها قول النبي الكريم نوح عليه السلام، وحكاها عنه القرآن: {ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً} فهم يطلقون في جو الجماعة أباطيل وأضاليل، وينشئون عادات وأوضاعاً ونظماً وتقاليد، ينشأ معها المواليدين فجاراً كفاراً"²⁹، فنوح عليه السلام كان حريصاً على سلامة المجتمع الإنساني من شوائب المفسد فدعا للكفار بالاستئصال الكلي؛ من أجل أن يبقى المجتمع طاهراً من العناصر الخبيثة³⁰ التي ورثت الخبث والشوائب من آبائهم عن طريق التربية والتنشئة الخاطئة؛ لأن الأسرة "هي الخلية الأولى المنتجة للنسل في المجتمع، وهي التي تنظم سلوك أفرادها، بحيث يكون مقبولاً اجتماعياً"³¹ فهي تقوم بنقل الثقافة الاجتماعية للأفراد، حيث تحرص على تشريهم الأنماط الثقافية والعادات والمعايير، والضوابط الاجتماعية والقيم والمبادئ والاتجاهات المرغوبة والمقبولة؛ ضمن المعيار الاجتماعي، كما تقوم بتعليمهم الأدوار المقبولة والمطلوبة منهم، للتعامل مع الآخرين في مواقف اجتماعية³² مختلفة، فيخرج الفرد من الأسرة متكيفاً اجتماعياً، ويجد دوره في المجتمع بسهولة، مما يجعله فرداً بناءً في المجتمع.

وعليه فإن جعل معيار الدين في الاختيار بين الزوجين يساعد إلى حد بعيد في التنشئة الصالحة للأفراد، مما يقلل من ظاهرة الانحراف الاجتماعي التي يكون أساسها سوء الاختيار بين الزوجين؛ حيث لا يُعطى لمعيار الدين أهمية بقدر ما يعطى لبقية معايير الاختيار الأخرى؛ فيؤثر ذلك بشكل غير مباشر في الانحراف الاجتماعي للأفراد.

المطلب الثاني: دور الاهتمام بتطبيع السلوك الديني في الفرد منذ الصغر في حمايته من الانحراف الأخلاقي
عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ
أَبْنَاؤُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرُبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاؤُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"³³. وجه النبي صلى الله عليه
وسلم الأولياء في ضبط التعامل مع الأولاد منذ الصغر حيث أولى الأهمية لأمر ثلاث:

الأمر الأول: الأمر بالصلاة وهو ضرورة الأخذ بحزم في أمر الصلاة منذ السن السابعة، وهذا يعني أن الترغيب فيها
يكون قبل هذا السن، إلا أن هذا السن هو معلّم لتحديد التمييز عند الطفل ولهذا اقترن التوجيه النبوي بالأمر
الحازم فيه.

الأمر الثاني: الضرب على الصلاة وبعد مواظبة الأولياء على تعهد الأبناء بالأمر بالصلاة منذ السن السابعة، فإنهم
ينتقلون إلى الشدة معهم؛ وذلك باستعمال الضرب مع الطفل في سن العاشرة حتى يتنبه الطفل لأهمية الصلاة،
وهي سن حرجة بالنسبة للطفل؛ لأنه في فترة يتهيأ فيها للتغيرات الجسمية والنفسية، لينتقل إلى مرحلة الرشد، التي
تستوجب ارتباط إيماني بالله تعالى، والصلاة هي أهم ارتباط بالله تعالى.

الأمر الثالث: التفرقة في المضاجع وهي تصاحب السن العاشرة التي يكون فيها الطفل مميّزا بين الأمور المختلفة،
وخاصة الأمور الجنسية؛ لأنه في مرحلة التغير الجسمي والنفسي، فلا يترك مجالاً للخطأ عنده.

ومعنى مجمل الحديث "فرقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشرين حذرا من غوائل الشهوة
إن كن أخوات . قال الطيبي، جمع بين الأمر بالصلاة والفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديبا لهم ومحافظه لأمر
الله كله وتعلما لهم والمعاشرة بين الخلق، وأن لا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم"³⁴.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين كل الحرص على تعهد أبنائهم لربطهم بالله تعالى، وغرس العبادات
الإسلامية في نفوسهم منذ الصغر؛ فعن الربيع بنت مَعُوذٍ قَالَتْ أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى
قُرَى الْأَنْصَارِ: "مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلَيْتَمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ قَالَتْ فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ وَنُصُومُ صَبِيَانَا
وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ"³⁵.

وقد شرحت رواية الإمام مسلم المقصد من اتخاذ هذه اللعبة فعن خَالِدِ بْنِ ذَكْوَانَ قَالَ: "سَأَلْتُ الرَّبِيعَ بِنْتَ مَعُوذٍ
عَنْ صَوْمِ عَاشُورَاءَ قَالَتْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رُسُلَهُ فِي قُرَى الْأَنْصَارِ. فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ
بِشْرِ غَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ وَنَصَنَعُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَنَذَهَبُ بِهِ مَعَنَا فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ أَعْطَيْنَاهُمُ اللَّعْبَةَ تُلْهِهِمْ حَتَّى يُتِمُّوا
صَوْمَهُمْ"³⁶؛ نلاحظ من الروايتين الشريفتين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملون طرق مختلفة لتحفيز
وتشجيع الأطفال؛ من أجل أن يتعودوا على العبادات، ففي "هذا الحديث تمرين الصبيان على الطاعات وتعودهم
العبادات ولكنهم ليسوا مكلفين"³⁷، من أجل تطبيع فرائض الإسلام في نفوسهم فيشربوا وهم على استعداد كامل
للقيام بها دون عناء نفسي ولا تردد، فيتعود الطفل أداء العبادة وتغرس آثارها في نفسه منذ الصغر، فهي "مؤثر
قوي يمد المؤمن بالقوة والقدرة على فعل الخير وتنمية إرادته بهذا الاتجاه. فالمؤمن العابد متعاون على البر والتقوى
أمر بالمعروف ناه عن المنكر، مغيث للملهوف صابر في الشدائد محسن لجاره منفق للمحتاج، مخلص في عمله
صادق الوعد معطاء لكل خير. كذلك لا يعرف طريق الفواحش ولا سلوك الجريمة ولا يغش ولا يخدع ولا

يكذب ولا يخون، غير طعان ولا لعان ولا بذيء. لا يشهد زورا ولا يسرق مالا ولا يهتك عرضا ولا يظلم أحدا. وهو محاسب لنفسه أبدا³⁸ لأن له حصانة إيمانية ورقابة ذاتية تحصنه من الوقوع في الأخطاء؛ فهو دائم المحاسبة لنفسه قبل المبادرة لأي عمل، حيث يحسب له حسابه حتى يتوقى الزلل، فالإسلام "اتباع طريقا في تهذيب النفس الإنسانية يختلف فيه عن كثير من الأديان؛ التي التزمت جانب الوعظ والإرشاد طريقا لتربية أتباعها؛ إلا أن الإسلام أضاف إلى طريقة الوعظ والإرشاد تلك؛ طريقة الفروض التي ألزم أتباعه على أدائها والقيام بها في مواقيت محددة... كان لكل منها هدفه التربوي العالي.... والفروض الإسلامية وسائل فعالة في بناء شخصية الإنسان، كل منها يتطلب موقفا معيناً لا يمكن الميل عنه وبدون تلك المواقف،... لن تكون لتأدية تلك الفروض أية قيمة أمام الله سبحانه وتعالى؛ فالمسلم يسعى لرضاء الله ورسوله، ولن يحصل على رضاء الله ما لم يقم بالفرض خير مقام، وما لم تتوفر فيه النية الصادقة، والفروض الإسلامية هي الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد"³⁹؛ فأصل الإنسان - كما قلنا - مؤمن بالفطرة لكن المحيط البيئي - خاصة المحيط الأسري - له تأثير كبير عليه، لأن الانحراف يتعلق بداية بالعداء المكتون بين الإنسان والشيطان - عليه لعنة الله - فقد تعهد بغواية بني آدم ما دام على الأرض، فحربه مستمرة ومتنوعة، فعن عياض بن حمار المصنف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربّي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً حلالاً وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم⁴⁰ عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"⁴¹.

فمعنى قوله تعالى (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم) "أي مسلمين، وقيل طاهرين من المعاصي وقيل مستقيمين منييين لقبول الهداية، وقيل المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر وقال أأست بربكم قالوا بلى"⁴²، وكل المعاني - كما نرى - متكاملة تصلح أن تجتمع لشرح معنى العبارة.

وأما معنى قوله تعالى: (وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) "أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل"⁴³ ولهذا على المؤمن أن يلتزم الدعاء والتضرع لله تعالى بأن يهديه هداية لا يضل بعدها، والهداية نوعان: "هداية مجملة: وهي الهداية للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن، وهداية مفصلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعائته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلاً ونهاراً، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم قوله: {اهدنا الصراط المستقيم}"⁴⁴ فيحصل لهم الرشد، ويحصنوا أنفسهم من الزلل، لأنهم حريصين على ابتغاء الصراط المستقيم، متوخين الحذر من الوقوع في الحرام، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في المشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"⁴⁵.

فالإنسان إذا التزم طريق الله تعالى وتجنب كل ما هو مريب، أو ما اشتبه عليه من بين الحلال والحرام؛ فإنه يزكي نفسه بذلك، مما يجعل له حصانة نفسية تقيه من الاضطرابات التي قد يقع فيها إذا تغافل عن تربية نفسه؛ ولا يحصل

ذلك إلا إذا سار وفق تعاليم الدين الإسلامي، "لأن التربية لا تكون إسلامية إن لم تحقق في نفس المرابي الرغبة في الله، والاستعداد المتحفز للسباق إلى مغفرته وحننه ورضاه"⁴⁶، فتكون بذلك الحياة الدنيا مطية للأخرة، فالإسلام يوجه "الاهتمام الأكبر إلى إشباع الحاجات الروحية والخلقية، والاجتماعية والنفسية في الإنسان، وهي أكثر أهمية من الحاجات المادية... ويقوم المنهج الإسلامي في هذا الإشباع على أساس التنظيم وال ضبط ووضع القيود والقواعد؛ التي تجعل عملية الإشباع مفيدة ونافعة للفرد وللمجتمع على حد سواء. ومع الدعوة للإشباع والأكل والشرب من خيرات الله ومن طيبات الرزق، إلا أن الإسلام يهتم بتربية مواطنيه على أساس من الزهد في متاع الدنيا وشهواتها وملذاتها وسلطانها وجاهها فالدنيا زائلة فانية، وليست الحياة الدنيا سوى رحلة عابرة، الهدف منها العمل الصالح الذي يقود إلى التمتع الأبدي والأزلي بالحياة الآخرة"⁴⁷، والإنسان يكون في الحياة الدنيا في بلاء مستمر حتى ينتقل في كل مرحلة من مراحل حياته وقد صنف تصنيفا دقيقا إلى المجموعة التي ينتمي إليها، وهو ما يبينه لنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: "كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَذْكُرُ الْفِتْنََ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَا. فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلٌ. قَالَ تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَذْكُرُ الْفِتْنََ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حَذِيفَةُ: فَاسْكَتَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ أَنَا. قَالَ أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ حَذِيفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَيْبَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"⁴⁸ فالفتن والابتلاءات التي يتعرض لها الإنسان تصنفه إلى إحدى الطائفتين:

الطائفة الظالمة لنفسها: وهي الطائفة التي لم تستطع أن تفقه دورها في الحياة الدنيا، ونراها تتبع أهواءها ومصالحها الخاصة؛ دون أن تتوقى الحذر في حياتها بين الحلال والحرام، فلا معيار لها في الدنيا إلا ما تموى وتشتهي، فتصبح النعم بمثابة استدراج لها، فتكون نهايتها ألا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، فكل عندها سواء لأن المعيار فيه هو هوى النفس.

الطائفة المؤمنة: وهي الطائفة التي فقهت الحياة، كما فقهت دورها في هذه الدنيا، فلا تزيدها الفتن إلا يقينا بالله تعالى وثباتا على طريقه المستقيم، فلا يضرها من ضل بعد أن اهتدت بهدي الله تعالى؛ لأن تقوى "المؤمن تبعده عن الشطط والانحراف، وتأخذ به إلى الاعتدال في حال تقلب الدهر عليه، في سرائه وضرائه، وفي حال شدته ورخائه، وهي التي تربط على قلبه فتبقيه ثابتا على الإيمان، إذا تعرض للمحنة والابتلاء"⁴⁹، فالإيمان له دور فعال في تسديد سلوك الأفراد؛ لأن الإسلام يوضح "الأسس والأركان التي يقوم عليها الإيمان؛ وذلك حتى لا يشعر المسلم بالضيق النفسي، أو تختلط عليه السبل، وحتى تتضح الرؤية في عقله وبصيرته"⁵⁰ فيكون سلوكه موجها توجيها ربانيا، فيحول الإيمان إلى العمل؛ والإيمان "حين يصبح منهجا وعقيدة؛ يؤثر في كافة جوانب حياة الإنسان، ويجعله أكثر صمودا وصلابة، وأكثر حبا في الله وطاعة له، والإيمان يدفع صاحبه لتحقيق الانجازات العظيمة، كما يساعده في حسن التعامل مع الناس... فالإيمان هو المدرسة الصالحة التي يتعين علينا، ونحن نعيد بناء الإنسان العربي أن نربي

شبابنا المسلم وأجيالنا الصاعدة؛ على نهجها ووفقا لمبادئها، واهتداء بنورها أي نور الإيمان الساطع وهدية السديد⁵¹، فيؤثر فيمن حوله؛ وأقرب من يؤثر فيهم هم أبناءه، وكل من وكل برعايتهم، فيشكل لهم حصانة إيمانية توجه سلوكياتهم الاجتماعية وفق التعاليم الربانية، لأن الاهتمام بالجانب المادي في الإنسان دون الجانب الروحي؛ يحدث خللا نفسيا في نفوس الأفراد، لأن "الإنسان جسم وروح، وهو قلب وعقل وعواطف وجوارح، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رُقياً متزناً عادلاً؛ حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً بها، ويتغذى غذاء صالحاً، ولا يمكن أن توجد المدنية الصالحة البتة؛ إلا إذا ساد وسط ديني خلقي عقلي جسدي يمكن فيه للإنسان بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني"⁵²؛ فيحظى المجتمع بمجموعات بشرية تعمل في مجموعها على بنائه، وترميم تصدعاته الحادثة فيه بسبب طغيان بعض النفوس البشرية، "وقد أثبتت التجربة أنه لا يكون ذلك إلا إذا كانت قيادة الحياة وإدارة دفة المدنية بيد الذين يؤمنون بالروح والمادة، ويكونون أمثلة كاملة في الحياة الدينية والخلقية، وأصحاب عقول سليمة راجحة، وعلوم صحيحة نافعة، فإذا كان فيهم نقص في عقيدتهم أو في تربيتهم عاد ذلك النقص في مدنياتهم، وتضخم وظهر في مظاهر كثيرة، وفي أشكال متنوعة، فإذا تغلبت جماعة لا تعبد إلا المادة وما إليها من لذة ومنفعة محسوسة، ولا تؤمن إلا بهذه الحياة، ولا تؤمن بما وراء الحس أثرت طبيعتها ومبادئها وميولها في وضع المدنية وشكلها، وطبعتها بطابعها، وصاغت في قالبها، فكملت نواح للإنسانية واحتلت نواح أخرى أهم منها. عاشت هذه المدنية وازدهرت في الحصّ والآجر، وفي الورق والقماش، وفي الحديد والرصاص، وأخصبت في ميادين الحروب وساحات القتال، وأوساط المحاكم ومجالس اللهو ومجامع الفجور، وماتت وأجدبت في القلوب والأرواح وفي علاقة المرأة بزوجها، والولد بوالده والوالد بولده، والأخ بأخيه والرجل بصديقه، وأصبحت المدنية كجسم ضخم متورم بملأ العين مهابة ورواء، ويشكو في قلبه آلاماً وأوجاعاً، وفي صحته انحرافاً واضطراباً"⁵³.

وعليه فإن للإيمان بالله تعالى دور فعال في تقويم سلوك الأفراد، الذي يظهر في الوسط الاجتماعي، ولهذا كان لزاماً على الأسرة أن تهتم بالتطبيع الديني للأفراد داخل الأسرة، وخاصة الأبناء الذين يكون مشربهم في التوجيه مأخوذ من الوالدين خاصة.

خاتمة:

لقد أناطها الإسلام الأسرة بتكاليف شرعية اتجاه أفرادها من أجل رعايتهم وحمائيتهم؛ ليصلوا إلى بر الأمان ويحافظوا على مجتمعاتهم الإسلامية، وقد وصل البحث إلى نتائج نحسبها مهمة، نذكر منها:

1. إن الإسلام جعل الاختيار الأمثل بين الزوجين من أهم دعائم نجاح التنشئة الروحية للأفراد داخل الأسرة، مرجحاً معيار الدين في الاختيار عن بقية المعايير الأخرى المكتملة لهذا المعيار.
2. كما جعل للاهتمام بتطبيع السلوك الديني في الفرد منذ الصغر دوره في الحفاظ على فطرة الإسلام في نفس الفرد، الذي ولد مزوداً بها، مما يمكن من ضمان صلاح الفرد في مجتمعه.

قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ سورة: النساء، الآية 1
- ² عبد الرحمن بن ناصر بن إبراهيم آل بشر، التوجيهات النبوية في التعامل مع الطفل في الجانب التعبدية من خلال الصحيحين ودور الأسرة المسلمة في تطبيقها، ص: 124، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة. 1429هـ - 1430هـ الموافق لـ: 2008م - 2009م.
- ³ سورة التحريم، الآية: 6.
- ⁴ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 28 / 469. دار الحديث. طبع. نشر. وتوزيع. القاهرة. د ت: 1426هـ - 2005م. تحقيق وتخرّيج: السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران.
- ⁵ سورة النحل الآية 72.
- ⁶ الدين: المقصود به الورع والتقوى وإلتزام حدود الله والخلق الحسن، لأن الإسلام أمر ضروري ولا يجوز للمرأة التزوج بغير المسلم.
- ⁷ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، كتاب النكاح، 16 - باب الأكفاء في الدين. رقم الحديث: 5089، ص: 959. منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط5. 1428هـ - 2007م.
- ⁸ - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري. 284/3. تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. طبع. نشر. وتوزيع. القاهرة. د ت: 1424هـ - 2004م.
- ⁹ - محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 1781/10. خرج أحاديثه: محمد عبد العظيم. دار التقوى للنشر والتوزيع. د. ط. ت.
- ¹⁰ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الرضاع، باب خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ. رقم الحديث: 64 (1467) دار الغد الجديد، للنشر. والتوزيع. ط1: 1428هـ - 2007م.
- ¹¹ السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. 340/5. دار الفكر. للطباعة والنشر والتوزيع.
- ¹² محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح، كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم الحديث: 1084، ص: 256. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها بن عبد الرحمن الراشد-الرياض - ط2، 1427هـ - 2007م. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان. ومحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني بن ماجه، السنن، كتاب النكاح، باب الأكفاء - رقم الحديث: 1967، ص: 340-341، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها بن عبد الرحمن الراشد-الرياض - ط2، 1427هـ - 2007م. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي رحمهما الله، كتاب النكاح، رقم الحديث: 2752/2. دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417-1997م.
- ¹³ صحيح البخاري، كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين. رقم الحديث 5091. ص: 959.
- ¹⁴ ابن حجر. فتح الباري: 151/9.
- ¹⁵ نفسه. 312/11.

- ¹⁶ شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي: حجة الله البالغة. 191/2. دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع. بيروت، ط1، 2005م-1426هـ. حققه وراجعته: السيد سابق.
- ¹⁷ صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب الْمُطَلَّقة ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا. رقم الحديث: 36(1480)، ص: 523.
- ¹⁸ صحيح مسلم بشرح النووي. 1821/10.
- ¹⁹ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (2 / 513) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت-لبنان. (1426-1427)-2006م
- ²⁰ -جدع : الجَدْعُ القَطْعُ وقيل هو القطع البائن في الأنف والأذن والشَّفة واليد ونحوها. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري . لسان العرب. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1: (1428هـ - 1429هـ) - 2008م. 450/4،
- ²¹ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث: 1358، ص: 251.
- ²² ابن حجر، فتح الباري: 284/3.
- ²³ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ص234، دار الفكر. للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ-2003م. طبعة جديدة محققة ومصححة بإشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر.
- ²⁴ عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، ص: 233. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. لبنان. د ط ت.
- ²⁵ عبد المنعم الهاشمي، وصايا نبوية مهمة لنساء الأمة، ص: 165، مكتبة عبد الرحمن للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ - 2005م.
- ²⁶ محمد إبراهيم السفسافة، أساسيات في الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي: ص165، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. دار الحنين للنشر والتوزيع. الكويت. ط1، 1423هـ-2003م.
- ²⁷ نفسه، ص110.
- ²⁸ سورة نوح، الآيات: 26-27.
- ²⁹ سيد قطب، في ظلال القرآن، 6/ 3717، دار الشروق. القاهرة. مصر. ودار الشروق. بيروت. لبنان. ط1: 1972م. ط37: 1429هـ-2008م.
- ³⁰ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 29 / 215، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م.
- ³¹ محمد السفسافة، أساسيات في الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي: ص166.
- ³² نفسه، ص167.
- ³³ أبو داود سليمان بن أشعث السجستاني، السنن، الصلاة 26 - باب مَتَى يُؤْمَرُ العُلَامُ بِالصَّلَاةِ (26). رقم الحديث: 495، ص: 91. قال الألباني: حسن صحيح. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها بن عبد الرحمن الراشد-الرياض- ط2، 1427هـ-2007م. حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني. واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان.
- ³⁴ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود. (1 / 466). مع تعليقات شمس الدين بن القيم الجوزية، خرج أحاديثه: عصام الصباطي. دار الحديث: طبع، نشر، توزيع. القاهرة. د ط، 1422هـ-2001م.
- ³⁵ صحيح البخاري - كتاب الصوم. 46 - باب صوم الصبيان. رقم الحديث: 1960، ص: 355.

- ³⁶ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الصيام 21 - باب من أكل في عاشوراء فليكنف بقية يومه. رقم الحديث: 137(1136). ض: 381.
- ³⁷ محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 8/1360.
- ³⁸ سعدون محمود السامود. وهدى علي جواد الشمري، أساسيات التربية الإسلامية. ص 135. مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع عمان، الأردن. د ط: 2003م.
- ³⁹ نفسه، (ص 269).
- ⁴⁰ اجتالتهم: "أي استخفّتهم الشياطين وذهبوا بهم وساقوهم معهم في الضلال " محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 249/28. التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت. مطبعة: حكومة الكويت. 1413هـ-1993م، تحقيق: محمود محمد الطناحي. راجعه: عبد السلام محمد هارون ولجنة فنية من وزارة الإعلام. وابن منظور، لسان العرب - (4 / 450).
- ⁴¹ صحيح مسلم، كتاب 54 - الجنة وصفة نعيمها وأهلها. 17 - باب الصّفات التي يُعرفُ بها في الدنيا أهلُ الجنّةِ وأهلُ النَّارِ. رقم الحديث: 63 (2865)، ص 1013.
- ⁴² شرح النووي على مسلم، (17 / 3263).
- ⁴³ نفسه (17 / 3264).
- ⁴⁴ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص 234.
- ⁴⁵ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم الحديث: 52، ص: 25-26.
- ⁴⁶ عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً. (ص 17). الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع. بيروت لبنان. ط 3: 1414هـ - 1994م.
- ⁴⁷ عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث. ص 125.
- ⁴⁸ صحيح مسلم للنيسابوري، الإيمان 67 - باب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيْبًا وَسَيَعُودُ غَرِيْبًا وَأَنَّهُ يُارِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ. رقم الحديث: 213(144)، ص: 67-68.
- ⁴⁹ محمد عبد الرحمن عدس، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، ص: 50. دار الآفاق، د ط ت، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية، الجزائر، 1990م.
- ⁵⁰ عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، ص: 235.
- ⁵¹ عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، ص: 236.
- ⁵² أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 107. مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الأزهر، د ط ت.
- ⁵³ نفسه، ص 107-108.